الفصل الثاني

نشأة الشيخ الشهيد جميل الرحمن

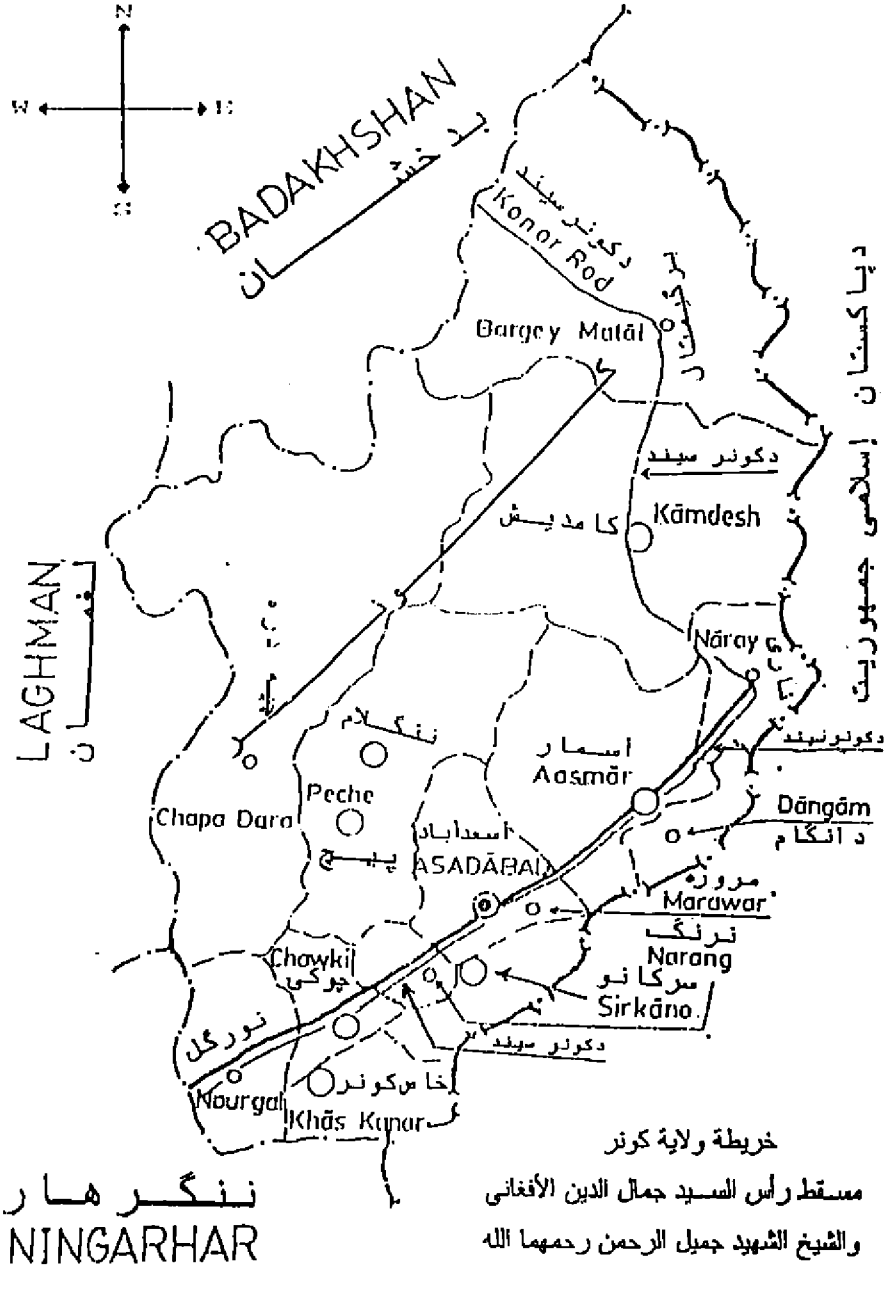

خريطة ولاية كونر

مسقط رأس السيد جمال الدين الأفغاني

والشيخ الشهيد جميل الرحمن رحمهما الله

مولده:

فى وادى بيج الممتد فى أحضان الجبال وتحت ظلال الغموم من الشرق إلى الغرب، والمتفرع من وادى كونر الممتد من الجنوب إلى الشمال، وفى بلدة ننجلام على وجه التحديد - ولد الشيخ الشهيد جميل الرحمن بن عبد المنان فى عصر انتشرت فيه الخرافات، وعمت فيه الشعوذة، وبسط فيها الناس التفرق والتشتت؛ وكان مولده و نشأته - رحمه الله - فى بيت علم وورع فى مثل هذا الجو المشحون بالتشتت ولد ونشأ، وفى مثل هذا الجو ترعرع وتعرض لكثير من صنوف الأذى، ومن أنواع المضايقات فى سبيل قيامه على الدعوة إلى الإصلاح فى الدين والعقيدة..

ولد الشيخ جميل الرحمن واسمه الحقيقى غلام حسين عام ١٣١٠هـ ش[1] / ١٣٥٠هـ ق / ١٩٣١م فى حى النساجين بقرية ننجلام بمديرية بيج بولاية كونر. ونشأ فيها فى أسرة دينية عريقة شديدة التمسك بأمور الدين، حيث كانت أسرته معروفة بالعلم والصلاح، والاهتمام بالمعرفة وأمور الدين الإسلامى الحنيف..

---

(١) جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة: الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور عام ؟ وفى مجلة البيان اللندنية ٧٩، العدد ٤٣ - ١٤، عام ١٤١٢هـ: ولد سنة ١٣١٢هـ ش / ١٣٥٣هـ ق / ١٩٣٤م، وفى مجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥ عام ١٤١٢هـ: ولد عام ١٣٢٠هـ ش / ١٣٦٠هـ ق / ١٩٤١م.

وفاته رحمه الله:

وقد نال الشهادة فى "باجور" يوم الجمعة الثامن من برج السنبلة سنة ١٣٧٠هـ ش، الموافق العشرين من شهر صفر سنة ١٤١٢هـ ق، الموافق الثلاثين من أغسطس عام ١٩٩١م. فقد فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها يوم أن اغتالته يد آثمة بإطلاق الرصاص على رأسه فما لبث أن وقع مضرجا بدمائه وهو يستعد لأداء صلاة الجمعة فى "باجور" التى كان قد اتخذها قاعدة لنشر دعوته الإصلاحية، وجهاده فى كونر، ومقرا مؤقتا لإقامته. ولقد حاول القتلة إطفاء نور الحق بقتله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبطلون. فرحمة من الله على الشيخ الشهيد جميل الرحمن يوم يبعث حيا، وأدخله فسيح جناته مع الشهداء والصديقين..

المقومات القبلية فى تكون شخصيته:

من مقومات قبيلة "صافى" التى عاش الشيخ الشهيد جميل الرحمن بين أبنائها وفيها نشأ، ومنها انطلقت دعوته، ومنها اختار تلاميذه ليكونوا دعاتها والمدافعين عنها، من مقومات هذه القبيلة التقليدية:

١- **التدين:** الاعتزاز الشديد بالقيم الإسلامية التى هى جزء طبيعى من كيانها الفطرى، فالتدين عنصر أساسى من عناصر حياة هذه القبيلة..

٢- **العبادات:** المواظبة الشديدة لأبنائها على أداء الصلوات فى أوقاتها، والمحافظة على سائر العبادات والتمسك بها ميزة أخرى من مزايا هذه القبيلة..

٣- **تعلم الدين:** الميل الشديد لأبنائها إلى التعلم فى حلقات المساجد العلمية والمدارس الإسلامية والاعتزاز بالعلم الدينى دون غيره..

٤- **الحرية:** الميل الفطرى لأبنائها إلى الحرية، فإذا كانت أفغانستان مدرسة الحرية فى آسيا فإن الصافية طلاب هذه المدرسة وحملة رسالتها..

٥- **الاحتمال:** الإنسان الصافى القبلى معروف بالجلد وقوة الاحتمال والعزيمة عند الشدائد والمحن والأزمات..

٦- **قوة الإيمان:** إيمانه بالله وبرسله وكتبه وقدره.. خيره وشره لا يتزعزع مهما كانت الظروف والنكبات..

هذه المقومات التقليدية الست قد لعبت دورا هاما فى تكوين شخصيته بالإضافة إلى العوامل الجغرافية والاجتماعية والسياسية والتاريخية الأخرى..

المجد والدين والسؤدد:

فى ظل هذه القبيلة ومجدها وعظمتها الإسلامية عاش الشيخ جميل الرحمن المتدين المواظب المتمسك على العبادات، العالم الدينى الفاضل،المحب للحرية فى إطار قيمها الإسلامية، القوى الإيمان بالله ورسله وكتبه. وأنا لا أغرق فى الخيال إذا قلت إنه يضم المجد والسؤدد من أطرافه، ويصدق عليه قول شاعر العصر العباسى الثالث مهيار الديلمى، حيث يقول فى ديوانه ١: ٦٤ فى قصيدة له قوامها تسعة أبيات مفاخرا بالمجد والدين والسؤدد، وقد قمت بتغيير أسلوب المتكلم بأسلوب الخطاب، وحذفت كلمة "الفرس" فى البيت الثانى و وضعت بدلا منها كلمة "الأفغان" وكتبت البيتين مخاطبا بهما الشيخ الجليل جميل الرحمن:

قد قبست المجد من خير أب وقبست الدين من خير نبى
وضممت الفخر من أطرافه سؤدد الأفغان و دين العرب

صافى وسابى وجذورهما اللغوية:

صافى كلمة عربية نقية معروفة المعنى والمفهوم، فهل هى اسم إسلامى جديد لشعب أفغانى قديم عتيق؟ أم أن لهذا الاسم جذور تاريخية قديمة والشكل الحالى (صافى) صورة متطورة لها؟

يمكن القول بورود الاحتمالين، وإن كان احتمال التطور والاشتقاق والتولد أقوى وأقوم، وبخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار الأسماء التاريخية التى تشترك أو تشبه فى الحروف أو فى النبرات الصوتية كلمة "صافى" أو "سابى". وفيما يلى تفصيل ذلك:

١- **أسباسى:** من المحتمل أن تكون كلمة "صافى" صورة مطورة لكلمة "أسباسى" وهى قبيلة كانت تسكن وادى كونر وباجور أيام عبور الإسكندر المقدونى وأستاذه أرسطو نهر كونر[١] فى طريقه إلى الهند. كذلك يحتمل أن تكون "يوسف زى" القبيلة الأفغانية المشهورة صورة مطورة لكملة "أسب زى"[٢] التاريخية، إذن يمكن أن يكون هناك ارتباط جذرى بين كلمة "صافى" و"سابى" اسما للقبيلة وبين هذه الكلمات والأسماء التاريخية الثلاث ..أسباسى، وأسب زى، ويوسف زى..

٢- **يوسبلا:** أحد أسماء نهر كونر، ومنه تطورت - احتمالا - كلمة صافى، وسابى، ويوسف زى، وأسب زى..

---

(١) أولف كيرو: بتهان ٩٢، الترجمة الأردية، الطبعة الثانية، بشاور ١٩٨٨م.

(٢) المرجع السابق ٩١

٣- **خواسبس:** اسم آخر من أسماء نهر كونر، ولكل من الكلمتين صافى وسابى وكذلك يوسف زى وأسب زى علاقة تطور واشتقاق تربطها - احتمالا - بهذه الكلمة..

٤- **هياسى:** اسم قبيلة من سكان كونر، احتمال تطور صافى، وسابى، ويوسف زى، وأسب زى واشتقاقها منها وارد أيضا..

٥- **آسيا:** الأوستية بمعنى الفرس، و"أسبه" الأفغانية بمعنى أنثى الفرس، واحتمال التطور واشتقاق إحداهما عن الأخرى وارد هاهنا أيضا

٦- **آس:** الأفغانية بمعنى الفرس والجواد، واحتمال تطور صافى وسابى القبيلة ويوسف زى القبيلة وأسب زى من هذه الكلمة وارد أيضا..

٧- **أسب:** الدرية (الفارسية) بمعنى الحصان أو الفرس مع ملاحظة التطور واشتقاق صافى، وسابى أو يوسف زى، وأسب زى منها ليس بمستبعد..

٨- **راسا:** أحد أسماء نهر كونر فى الأناشيد الويدية، واحتمال التطور والتحول والاشتقاق بين هذه الكلمات صافى، وسابى، ويوسف زى، وأسب زى وارد..

٩- **صافى:** الإسلامية أو العربية، واحتمال تطورها أو تحولها من الكلمات السابقة وارد وليس بمستبعد..

١٠- **يوسف زى:** الإسلامية، اسم قبيلة، ومعناها بنو يوسف، واحتمال تطورها، وامكان تحولها من الكلمات السابقة الذكر وارد[1] ..

---

(١) عبد الحى حبيبى: د بشتو أدبياتو تاريخ ٢: ٢٣٦ - ٢٣٧، أكاديمية البشتو، الطبعة الثانية، كابل ١٣٤٢هـ ش.

١١- **الدولة الأسبية:** أسماء ملوك هذه الدولة أو الأسرة الآرية القديمة تدور حول كلمات: أسبه، وهراسبه، وكشتاسبه، وويشتاسبه وغيرها، واحتمال تطور كلمة "صافى" أو "سابى" وتحولها منها وارد..

منازل قبائل الصافية الذين عاش بينهم جميل الرحمن:

الأول - ولاية كونر:

أ - وادى مزار: يقع على يسار المتجه إلى أسعد آباد الحاضرة، وتتناثر فيه قرى تقطنها فروع عديدة من الصافية بعشائرهم المختلفة.

ب - وادى ديوكل: يقع على يسار المتجه إلى الحاضرة، ويتفرع من بنية وادى كونر الرئيسية، ويمتد شرقا وغربا.

جـ - وادى باديل: يقع أيضا على يسار المتجه إلى الحاضرة، وهو من الوديان الصغيرة نسبيا، ويمتد شرقا وغربا أيضا.

د - وادى شونكرى: يقع على يمين المتجه إلى حاضرة الولاية أسعد آباد، فى مقابل وادى ديوكل وباديل.

هـ - وادى بيج مسقط رأس الشيخ جميل الرحمن، وصافية بيج كغيرهم من الصافية تنقسم إلى ثلاث عشائر: كربز (القوى)، التى عاش بينها جميل الرحمن، ومسعود، ووزير. وهو أطول الوديان وأكثرها كثافة ونشاطا وحركة.

الثانى - إقليم باجور ومهمند:

أ - سور كمر: منطقة تقع فى إقليم مومند (مهمند) فى شرق ولاية كونر وراء الجبال العالية التى تفصل بينهما.

ب – قندهارو: وهذه المنطقة عبارة عن سهل واسع تحيط بـه جبـال جـرداء من كل جانب، ويقطنه عدد كبير من عشائر الصافية، وتقع أيضا فى شـرق ولايـة كونر من وراء الجبال التى تفصل بين ولاية كونر وإقليم مهمند.

الثالث – ولاية كابيسا:

أ – تكاو أو تكاب، ومعناها:الأرض التـى يكـثر فيهـا المـاء والكـلأ. وهـى منطقة غير بعيدة عن كابل العاصمة. وسكانها من قبائل الصافية.

ب – كوهستان، ومعناها الأرض التى تكثر فيها الجبـال والصخـور. وهـى منطقة جبلية غير بعيدة عن كابل. وهما منطقتان من مناطق ولاية كابيسا فى شمال العاصمة كابل، وغالبية سكانها من الصافية.

الرابع – ولاية بروان:

صافى غر (كوه صافى) ومناطق عديدة أخرى فى ولاية بروان التى تقع فـى شمال كابل العاصمة. وسكان منطقة "صافى غر" أو "كوه صافى" بمحافظة بـروان من قبائل الصافية.

الخامس – ولاية ننجرهار:

كامه وملحقاتها، ومنطقة "كامه" هذه تقع فى الجنوب الشـرقى مـن ولايـة كونر بين نهر راسا (كونر) والمناطق الحدوديـة القبليـة، وأهلهـا مزيـج مـن قبيلتـى الصافية والمومندية (المهمندية) وغيرهما، وهى امتداد طبيعى لوادى كونـر التـاريخى الجميل. وهى تابعة لولاية ننجرهار إداريا.

السادس – ولاية لغمان:

مناطق عديدة ومختلفة فى طول هذه الولايـة وعرضهـا، ويلاحـظ أن صافيـة لغمان أكثر الأفغان نشاطا فى الأوساط والدوائر الحكومية، وأكثرهم علما وثقافة، وأهل ولاية لغمان مزيج من أجناس أفغانستان المختلفة.

السابع – وزيرستان:

وزيرستان إقليم قبلى مشهور، تقطنه عشائر أو قبائل من الصافية، ومن أشهر تلك العشائر وزير ومسعود وكربز التى كانت شوكة فى جنب الإنجليز أيام احتلالهم للهند، ووزيرستان هذه تتآخم حدودها مع ولاية بكتيا فى الجنوب الأفغانى.

الثامن – ولاية بكتيا:

فى الجنوب الغربى من خوست منطقة يقطنها عديد من عشائر الصافية بفروعها وبطونها المختلفة.

التاسع – نهر صافى:

اسم نهر فى شمال إيران، وهو ما زال يشتهر بهذا الاسم "نهر صافى" الشهير، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن هناك صلة ما بين السكان على جانبى هذا النهر، وبين قبائل الصافية التى تنتشر فى مختلف الأقاليم الأفغانية، ومن هؤلاء العلماء المؤرخ الأديب خان روشن خان، وله مؤلفات عديدة فى التاريخ والأدب تنطوى على آرائه فى مثل هذه الموضوعات التاريخية والأدبية.

العاشر – قصبة صافية:

صافى نسبة إلى "صافية" وصافية اسم قصبة فى بلاد الشام على شاطئ نهر دجلة، ولما خربت هذه القصبة هاجر أهلها إلى تبريز واستوطنوا ساحل أحد أنهار مراغه، واشتهر بعد ذلك باسم نهر صافى كما مر، ثم هاجروا من هذه المنطقة إلى خراسان[1] (أفغانستان).

---

(١) خان روشن خان: تذكرة ٩٧، ٩٨، ٣٨٠، الطبعة الخامسة، كراچى ١٩٨٤م.

تحصيله العلمى وثقافته الدينية:

نشأ الشيخ الشهيد جميل الرحمن بن عبد المنان فى بيت علم وفضل وزعامة.. درس مبادئ القراءة والكتابة فى مسجد بلدته ننجلام بحى النساجين على يد والده الشيخ عبد المنان رحمه الله، ثم رحل بأمره إلى قرية "شموند"[1] المشهورة بعلمائها من رجال الدين، وهى مسقط رأس مؤلف هذا الكتاب، وبدأ بها دراسته الابتدائية، وفقا للمنهج الدراسى لطلاب العلم فى عصره، وهو حينذاك لم يتجاوز السابعة من عمره، ثم تحول من قرية شموند إلى بلدة "سر كانو" التى تقع على الشاطئ الشرقى من نهر كونر الشهير، ودرس على يد علمائها بعض العلوم العربية كالنحو والصرف، وبعض الكتب فى علم الأصول[2] فى الفقه الإسلامى. وبعد مدة - ليس فى إمكانى تحديدها - انتقل للغرض نفسه إلى حاضرة ولاية كونر "أسعد آباد" التى تقع فى الركن الغربى عند ملتقى النهرين، ودرس بها الأدب العربى والأدب الدرى واللغة الأردية على يد الشيخ الفاضل مولوى عبد الخالق[3] - رحمه الله - الذى شجعه على مواصلة الجهد فى تحصيل العلم حين ظهر له ذكاؤه، وتأكد له استعداده العلمى الطيب وحدة فهمه ووقادة

---

(١) جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة: مجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / أكتوبر ١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة: الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ٣ - ٤، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، سنة...؟ ومجلة الجهاد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / أكتوبر ١٩٩١م.

ذهنه وسرعة حفظه. وكان بيننا فى هذا الوقت لقاءان الأول فى أسعد آباد، والثانى فى "شموند" مهد طفولتى الذى هو مهد دراسته الابتدائية، وقد شارك فى اللقاء الثانى كل من الشيخ الشهيد جميل الرحمن، والشيخ الفاضل مولوى عبد الخالق، والشهيد محكم خان الذى قتله الشيوعيون فيما بعد، وقد امتد النقاش العلمى فى تلك الليلة بين كل من الشيخ جميل الرحمن وأستاذه الشيخ عبد الخالق حتى الصباح وكان النقاش الساخن يدور حول الدعوة إلى السلفية ونبذ الخرافات والشعوذة، وتطهير الدين الحنيف من ذلك..

واصل الشيخ الشهيد جميل الرحمن - رحمه الله - دراسته وتحصيله العلمى الدقيق فى كل من باجور فدرس فيها بعض العلوم كالمنطق والفلسفة وغيرهما على يد أبرز علمائها، وفى سوات حيث انضم إلى رعيل العلم وطلابه فى مدرسة دار العلوم الدينية فى مدينة منكوره[1]، أتم فيها دراسة أصول الفقه الإسلامى، كما درس فيها الفنون البلاغية، والأدب العربى، وغيرها من العلوم الإسلامية والعربية[2]. وبعد ذلك رحل إلى سهول بشاور والتحق بدار العلوم فى مدينة "جار سده" ودرس بها علم التفسير والحديث الشريف بمزيد من التعمق، وقد تخرج فيها سنة ١٣٣٣هـ ش / ١٣٧٤ هـ ق / ١٩٥٥م[3]. بعد أن أخذ بحظ وافر من العلوم الإسلامية والعربية على يد أبرز علمائها..

---

(١) جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة: الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ٤، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور سنة ؟

(٢) مجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / أكتوبر ١٩٩١م، والشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ٤، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، سنة ؟

(٣) الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ٤، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، سنة ؟

وقد قمت بزيارته وهو طالب بدار علوم "جار سده" يتلقى الدروس فيها على يد علماء أفاضل، ومن شيوخه المشهورين الشيخ عبد المنان السلفى شيخ الحديث، والشيخ عبد الرحمن السلفى، والشيخ غلام الله الديوبندى[1] بالإضافة إلى شيخه السابق الذكر مولوى عبد الخالق الذى تولى القضاء فى ولاية لغمان فيما بعد وقد غرف من بحر علمهم الزاخر الشئ الكثير، وكان هؤلاء العلماء ذوى حظ وافر من العلم الغزير، والخلق العظيم، والدين القويم، والطريق المستقيم. وقد تفرغ من الدراسة وعمره ٢٥ سنة[2].

وقد تناهت إلى الشيخ الشهيد جميل الرحمن وهو فى المراحل النهائية من الدراسة أخبار مدرسة قرآنية فى قرية "بنج بير" فلم ينتظر طويلا حتى انطلق والتحق بها، فتلقى فيها دروسا فى علوم القرآن الكريم، وترجمة معانيه بالأفغانية فى لهفة وشوق كبيرين حيث كان - رحمه الله - شغوفا بكل ما له صلة بالقرآن الكريم ومعانيه الكريمة، ولقد وجد فى المدرسة ما يروى تعطشه ويشفى غليله، ويقضى حاجته فى المعرفة القرآنية، وكان شيخه فى هذه الدروس القرآنية الشيخ محمد طاهر البنجبيرى شيخ التفسير[3]. وهو من العلماء المشهورين فى توحيد الألوهية[4].

---

(١) مجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / أكتوبر ١٩٩١م

(٢) المرجع السابق

(٣) الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ٤، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، سنة ؟ ومجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / أكتوبر ١٩٩١م

(٤) مجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / أكتوبر ١٩٩١م

وله فى هذا التنقل والترحال أسوة بالعلماء وطلاب العلم من علماء الأمة الإسلامية وطلاب العلم والمعرفة فيها من أمثال الإمام أبى حنيفة النعمان والإمام أحمد بن حنبل، والإمام الشافعى، والإمام محمد بن اسماعيل البخارى وغيرهم رحمهم الله.ولا يوجد عالم من علماء المسلمين إلا كانت له فى هذه الرحلات نصيب كبير، وبخاصة فى العصور القديمة..

عودة ودعوة:

عاد الشيخ الشهيد جميل الرحمن إلى مسقط رأسه ننجلام كأحد أبرز الدعاة إلى السلفية فى ولاية كونر، بل كمؤسس هذه الدعوة الأصولية فى أفغانستان، نعم عاد الشيخ الشهيد وبدأ يزلزل عرش الطواغيت بصيحة التوحيد الإصلاحية والقيام بإشعال كل دافع من دوافع الإيمان والدعوة إلى الإصلاح والثورة ضد الاستبداد والجبروت، وذلك لبناء جيل جديد مؤمن يؤججه بصوته ودعوته، واضعا يده فى يده ماضيا بالثورة والدعوة معا إلى الغاية المنشودة، والهدف المقصود، و لم يكن فى إمكان نقيق الضفادع وصيحات الحاقدين، وحقد المارقين الصمود فى طريق مسيرته، ذلك لأنه رمز العزيمة والأخلاق، ومصدر الثورة والقوة، وشمعة النور والإيمان، وشعلة الدعوة الإصلاحية فى الدين والعقيدة..

عاد الشيخ الشهيد جميل الرحمن إلى الوطن، وواصل الجهاد والنضال فى قريته ننجلام بوادى بيج الذى يصل كونر بالشمال الأفغانى عن طريق المعابر والممرات فى نورستان، وهذا الوادى أحد أهم منازل قبيلة "الصافى" والشيخ جميل الرحمن عاش فى هذه القبيلة التى يمتاز أبناؤها بالجرأة والشجاعة، والكرم وحسن الأخلاق، وهو يمتاز منهم بجرأة القلب، ورجاحة العقل، وبعد النظر، والبعد عن

الخرافات التى كانت منتشرة بين أبناء هذه القبيلة، وكان يستنكر بشدة ما وجد عليه الصافية من تلك التقاليد والعادات البالية واختلاط الحق بالباطل، والنور بالظلمة والهدى بالضلال، وكان يتطلع إلى ظهور حركة إسلامية جديدة تملأ على الصافية وعلى غير الصافية عقولهم، وتنير أفئدتهم، وتخرجهم من ظلام التقاليد إلى نور التوحيد.. وأخذ يأمر الناس بالابتعاد عن المنكرات، ويطالبهم بالانصراف عن البدع، والقباب والأضرحة حرصا على عقيدتهم، ولكن الكثير منهم صموا آذانهم عن سماع الحق.. وبدأ الصراع بينه وبين أصحاب البدع.. شاع خبر كل ذلك وعم فى الوادى، وبدأ نقيق الضفادع، وصراخ المارقين، وعويل الحاقدين يتقول عليه ويؤلب، والرجل الشجاع يدعو إلى الإصلاح، ونبذ الأباطيل والبدع ولا يبالى، يقرأ القرآن الكريم ويفسره، ويقرأ الحديث الشريف ويشرحه مبينا شرائع الإسلام الحق من القرآن، موضحا ذلك من سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فذاع ذكره، وانتشر أمر دعوته، وأخذت الجماعات تأتى إليه، وطلاب الحق يقصدون بابه، ويملأون عليه مسجده، فكان يقرأ عليهم كتب التفسير والحديث والفقه فما لبث أن انتصر الحق على الباطل، وظهرت كلمته عالية، وانضم إلى دعوته الإصلاحية جم غفير من العلماء بالإضافة إلى طلاب العلم فاستجابوا لدعوته، وتعاهدوا على نصرتها ومؤازرتها.. أقام الرجل الورع فى قريته ننجلام يتوافد عليه الطلاب من كل الأطراف من مدن كونر ونورستان، ومن ولايات لغمان ونجرهار وبروان[1] وغيرها. وهو يلقى عليهم الدروس فى القرآن

---

(١) مجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / ١٩٩١م.

الكريم والسنة النبوية، وينادى بذلك بأعلى صوته، وأقوى كلماته، وأنصع عباراته التى تلامس آذان القوم، وتدخل أعماق قلوبهم، وتسيطر على عقولهم، وتستقر فى أذهانهم، وتثير فيهم الانفعالات الدينية الثورية..

الدعوة تثير فى الحاقدين رعبا:

فقد أثارت الدعوة ثورة عارمة ضد الأوضاع التقليدية، وبلبلة فى الأوضاع العامة تنذر بالخطر فى نظر هؤلاء الحاقدين من أصحاب المصالح الشخصية والمنافع الرخيصة، فلم يكن بد من أن يقوم هؤلاء الحاقدون من أصحاب العقول الجامدة بإبلاغ هذه الدعوة وأثرها فى نفوس الناس إلى المسئولين الحكوميين فى المديرية، فهب المسئولون والحاقدون جميعا مذعورين للوقوف فى وجه الدعوة وصاحبها، بعد أن تلقوا أوامر من السلطات العليا بشأن ذلك، وبدأت عمليات مطاردة الشيخ الشهيد وطلابه، ومضايقتهم بشتى الوسائل، واستدعائهم إلى المديرية لحين وآخر للاستجواب، وقد تعرضوا لكثير من الابتلاءات والمضايقات السخيفة.

الدعوة الإصلاحية لا تتوقف:

ولكنه من ذلك اليوم انطلقت الدعوة الإصلاحية فى وادى بيج بولاية كونر، لا يكل صاحبها، ولا يمل منها حتى لبى دعوته خلق كثير من أهل كونر، ومن أهالى الولايات الأفغانية الآخرى فى كل أنحاء أفغانستان وأقيمت لها مراكز متواضعة فى مختلف مساجد وادى بيج ونورستان. وقد ظل الشيخ يواصل تدريسه لعلوم القرآن الكريم، والسنة النبوية فى قريته ننجلام، ويقوم بين حين وآخر برحلات علمية إلى الولايات الأفغانية الأخرى بدعوة من أهلها كولاية كندهار[1]

---

(١) مجلة المجاهد ١٠، العدد ٣٥، ربيع أول ١٤١٢هـ ق / ١٩٩١م.

وغيرها للقيام بإلقاء الدروس والمحاضرات فى بعض مساجدها ومدارسها الإسلامية، ويدعو إلى الإصلاح ونبذ البدع والخرافات.. يقيم مجالس للمناظرات والمناقشات، يقدم فيها الحجج والبراهين، يندد بالطغيان والجبروت والاستبداد، ويوجه انتقادا مريرا إلى الحكومة واستبدادها. فما لقى فرصة إلا انتهزها للتبليغ والدعوة إلى الإصلاح والتوحيد، وقد عانى فى دعوته من أذى الحاقدين، والعلماء الحكوميين ما عاناه، وعانى من بطش السلطات الأفغانية أيام الملك السابق محمد ظاهر شاه ما عاناه، فما لانت له قناة فى الدعوة، وما وهن، ولا فترت له حماسة فى الدين، ولا ضعف إيمانه بما يدعو إليه، وإنما زاده ذلك استمساكا بمنهج السلفية، وتعلقا بتعاليم القرآن الكريم، وأحكام السنة النبوية، وتفقها بشرع الله وأحكامه، وكان رحمه الله لا يترك فى ذلك فرصة إلا اغتنمها، ولا سانحة مناسبة إلا ابتدرها، وأسرع إليها أملا فى أن يقبل الناس دعوته إلى الأصولية المنهجية فيكون فى ذلك عز لدين التوحيد، وتأييد لدعوة السلفية، وعودة إلى الأصولية الحقيقية ومنهجها السلفى.

وهكذا استطاع جميل الرحمن أن يؤثر فى الناس، فزاد عدد تلاميذه، وقويت الدعوة، وتطورت أفكار العلماء تطورا كبيرا، وظهر فى ولاية كونر عدد كبير ممن آمنوا بالسلفية والإصلاح فى الدين والعقيدة، واعتنقوا المنهج الأصولى الإصلاحى الذى يسير عليه بعيدا عن التقليد ومقيدا بجوهر الدين الإسلامى، وأصبح لدعوته أثر كبير فى المجتمع الأفغانى وكان طبيعيا أن يلقى من بعض العلماء أصحاب المصالح الخاصة، ومن بعض رجال الدين من أصحاب المنافع الرخيصة وطلاب المناصب والجاه من علماء السوء مقاومة إما لمصالحهم الخاصة الرخيصة وإما لجمودهم وعدم فهمهم لروح الدين، وإما لحقدهم وعدم رضائهم عن ظهوره

بينهم، أو عدم ارتياحهم إلى ما يدعو إليه من الإصلاح لأنه يفسد عليهم خططهم النفعية، بينما سلطانهم قائم على العامة بهذه الأباطيل والمفتريات على الإسلام وزعمائه المصلحين..

انقلاب الأمير داود ونشاط الشيخ جميل الرحمن:

قام الرئيس محمد داود خان بانقلابه الأسود فى ٢٦ من برج السرطان سنة ١٣٥٢هـ ش الموافق ١٧ من جمادى الأخرى ١٣٩٣هـ ق الموافق ١٧ من إبريل ١٩٧٣م الذى فتح الباب فيه للأفغان الشيوعيين العملاء، والروس الأنجاس الأمر الذى أثار استنكار الشعب الأفغانى بكل طبقاته وطوائفه فلم يكن من الشيخ جميل الرحمن إلا أن أضاف بعدا جديدا إلى دعوته الإصلاحية حيث قاد وشارك بكل قوته فى النشاط المضاد لهذا الانقلاب تحت راية تنظيمه "الأمة المسلمة" الذى تغير اسمه فيما بعد إلى "جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة"[1] فقد اشترك تنظيم "الأمة المسلمة" بقيادته فى جميع أوجه النشاط والمظاهرات التى كانت تقوم بها المدارس والجامعات الأفغانية ضد العناصر الشيوعية التى قد اشتركت فى النشاط السياسى أيام النظام الجمهورى بقيادة السردار محمد داود خان..

فقد قام الشيخ الشهيد جميل الرحمن - بالإضافة إلى نشاط تنظيمه السابق - بتنظيم الندوات السياسية والمظاهرات الاحتجاجية فى أكثر قرى ومدن ولاية كونر لكشف ما يدور وراء النقاب فى السياسة الأفغانية، وإثارة مشاعر الناس

---

(١) الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ١٤ - ١٥، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، سنة ؟

وأحاسيسهم ضد هذه السياسة الشيوعية، وقد جـال لذلـك فـى أنحـاء كونـر ينـثر بذور الثورة، ويضع الحقائق أمام أعين الناس واضحة مكشـوفة، ويلهـب المشـاعر، وينثر الوعى، ويطالب بالثورة ضد الأوضاع القائمة فى البلاد بقيادة الأمير الوطنـى أو الاشتراكى محمد داود خان..

الأمر بإلقاء القبض على الشيخ جميل الرحمن:

فعندما زاد نشاط الشيخ جميل الرحمن قوة وانتشـارا ثـم تأثيرا فـى المجـالات الدينية والسياسية والنضالية - أسرعت حكومة السردار محمد داود خان وأصدرت أوامرها الصارمة إلى السلطات المحلية فى مديرية بيـج للتخلـص مـن جميـل الرحمـن بإلقاء القبض عليه والإمساك بـه حيـا أو ميتـا، وتنفيـذا لهـذه الأوامـر الدكتاتوريـة حضرت مجموعة كبيرة من القوات الخاصة، وداهمت منزله فى حى النساجين فـى بلدة ننجـلام فـى السـاعة التاسـعة مـن صبـاح يـوم ٢٨ مـن بـرج السـرطان سـنة ١٣٥٤هـ ش[1]، الموافـق ١٣٩٦هـ ق، الموافـق ١٩٧٦م بغـرض القبـض عليـه والإمساك به وإلقائه فى السجن كغيره من المناضلين والمجاهدين فى وداى بيـج فـى كونر، ولكن العناية الإلهية قد أنقذته فتمكن من الإفلات من أخطار هذه المداهمـة البربرية الوحشية، وفشلت الحكومة فى محاولتها لإلقاء القبض عليـه، ولكنـه انتهـز فرصة الإفلات من مطاردة السلطات الحكومية ومداهماتها السخيفة،حيث كـانت قد ضاقت بشدته وتنديده العنيف بالخرافات الدينية والعادات البالية والتقـاليد التـى جعلهاالناس من الدين وهى ليست من الدين فى شئ، كما كانت قد ضاقت ضيقا

---

(١) الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ٨، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، سنة ؟

شديدا بانتقاداته المريرة الموجعة للسلطات الأفغانية التى كانت تؤيد بقوة تلك الخرافات أيام الرئيس الأسبق السردار محمد داود خان، أضف إلى ذلك تكالب الشيوعيين العملاء والحاقدين من أصحاب العقول الجامدة على الشيخ جميل الرحمن، وعلى العلماء والطلاب الذين لبوا دعوته الإصلاحية، وأيدوه فى مسلكه الإصلاحى، واشتدت المطاردات والمضايقات بالإضافة إلى المداهمات، والتكالب الشيوعى.. فأسرع الشيخ الشهيد الذى أفلت لتوه من مداهمة الكوماندوز، ومعه بعض من رفاق دربه وتلاميذه وأبناء إخوته[1] أسرعوا جميعا إلى مفارقة القرى والمنازل فرارا بالدين والعقيدة والدعوة، وذلك بالصعود إلى الجبال لمواصلة النضال..

توجيه الدعوة من قمم الجبال:

فارقوا القرى وصعدوا إلى الجبال وأقاموا فيها بعيدا عن مطاردة السلطات ومضايقاتها بالمداهمات مستمسكين بما كان عليه الأوائل من إيثار التوحيد على التقليد.. كل ذلك جهادا فى سبيل الله، والنصح لأجله، ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين، وحماية لدين الله. فقد كان الشيخ الشهيد وتلاميذه، ورفاق دربه، وأبناء إخوته، وأشياعهم ثورات إصلاحية، يدعون إلى إصلاح ماديات المسلمين ومعنوياتهم.. يدعون إلى إصلاح دينهم ودنياهم، ولن يكون إصلاح دين المسلمين ودنياهم إلا بالرجوع إلى كتاب الله، والعودة إلى سنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - وبإزالة كل ما دخل على دين الله من بدع وخرافات غطت وجه

---

(١) مجلة البيان ٧٩، العددان ٤٣ و ٤٤، ربيع الأول ١٤١٢هـ - أكتوبر ١٩٩١م.

الدين الصحيح، وحجبت خيره الكثير ووجهه المنير عن أصحاب البدع والأهـواء. فقد صبر هؤلاء على مشقات الحياة فى الجبال وتحمل المكاره احتسابا لله، وابتغـاء لمثوبته ورضوانه، وكل رصيدهم فى هذا الصراع قوة الإيمان وقوة العزيمة، وبما أنـه لا يمكن أن يأتلف الخير والشر، ويتآخى الحق والباطل، فقد كـان للشيخ جميـل الرحمن ورفاقه موقعهم وموقفهم، ومن هنا كـان ذلـك الالتجـاء إلى الحيـاة فـى الجبال.. حتى يتسنى لهم العودة إلى القرى والمدن فـى ظـروف تمكنهـم مـن القيـام بعملهم المنشود، والعمل بكل قواهم لإلحاق الهزيمة بالباطل والشـر المستطير، ولـو وقعوا شهداء فى ميادين المعارك المحتدمة بين الخير والشر، وبين الحق والبـاطل. ونصر الحق إنما يكون بالقول والعمل وبالتجنب عن المهالك.. حتى تشرق الشمس من جديد وإن طال ليل الباطل وامتد مدة من الزمن.. غير أنه لابد على الزمن مـن أن يظهر أناس يعاودون اكتشاف الحق ونصره، ويعملون على دحر الباطل وطرده، والقضاء عليه ولو ذهبت فـى سبيل ذلـك أرواحهـم.. ولا شـك أن هـذه الهجـرة الجبلية التى قام بها الشيخ جميل الرحمن وما صادف فيها ضروبا من الشدائد وألوانا من المخاطر والجوع والعطـش كـان إعـدادا طيبـا لـه للدخـول فـى هـذه الحـروب الإسلامية التى خاضها فى سبيل الله، صابرا ومصابرا على كل ما لقيه من البلاء..

مصير المتخلفين عن الهجرة إلى الجبال:

وأما من بقى من الإخوة المناضلين الإسلاميين فى وادى بيـج فـى كونـر، أو لم يتمكنـوا مـن اللحـاق بركـب اللجـوء إلى الجبـال والفـرار بعقيدتهـم الدينيـة والسياسية معتمديـن فـى ذلـك علـى شـجاعتهم، وفدائيتهـم المنقطعـة النظـير فـإن حكومة النظام الجمهورى الذى أعلنه الأمـير دواد خـان قـد ألقـت القبـض عليهـم

وألقت بهم فى غياهب سجون الأمير الجمهورى من غير أن يحدد مصيرهم بتوجيه التهم وتقديمهم للمحاكمة الشكلية، وأكثرهم قد عاشوا فيها إلى أن قام عام ١٣٥٧هـ ش/ ١٣٩٨هـ ق / ١٩٧٨م انقلاب شيوعى بقيادة الشيوعى العجوز نور محمد ترهكى وأطاح بالأمير دواد خان وبنظامه الجمهورى الدكتاتورى، وتم إعدامهم فى عمليات الإعدام الجماعية فى سجن "بل جرخى" فى العاصمة كابل. وكان الشيخ الشهيد جميل الرحمن على اتصال مستمر بهؤلاء الإخوة السجناء، وبمن كان خارج السجون يشجعهم، ويقدم لهم النصح والعون والمواساة ويشاركهم وجدانيا وعاطفيا فيما وقعوا فيه من المحن فى سبيل الدفاع عن العقيدة حتى قضى نحبه بين البندقية والمسدس وذهب عن الدنيا شهيدا قبل اكتمال المسيرة بين عيون المناضلين من الأفغان والعرب رمزا حيا للفداء والتضحية، وتجسيدا للبذل والعطاء المتواصل فى سبيل الله، رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

داود يطالب بمقاطعة جميل، وجميل يطالب بالثورة:

فشلت السلطات المحلية فى كونر فى القبض على الشيخ جميل الرحمن ولم تتمكن من القيام بعمل شئ يمكن أن يشكل عقبة فى طريق دعوته الإصلاحية فاستولى اليأس على الرئيس دواد خان وأحس بالخطر الذى يتطلب منه إن يتوجه بنفسه إلى كونر الثائرة ثورة جميل الرحمن ويطلب إلى أهلها مقاطعة جميل الرحمن ومنعه من مزاولة نشاطه، ففى موسم ربيع عام ١٣٥٥هـ ش/ ١٣٩٧ هـ ق/ ١٩٧٧م قام الرئيس الأفغانى السردار محمد داود خان بزيارة مفاجئة لولاية كونر والأمطار الموسمية المتوالية تتساقط على كونر بغزارة، وطالب فى حديثه فى "أسعد آباد" الحاضرة بعدم السماح للشيخ الشهيد جميل الرحمن بالجولات فى الولاية،

والقيام بأعماله التخريبيـة، وأبـدى تخوفـه مـن تـردده علـى القـرى لمزاولـة نشـاطه الإصلاحى والثورى (الهدام فى نظره) وهدده منذرا بالانتقام الصارم إن هو استمر فى ذلك وتمادى فيه. ولأجل ذلك كلف الضباط ورجال الأمن والمسئولين فى هذه الرحلة الاضطرارية التى كانت مفاجـأة لهـؤلاء جميعـا بإلقـاء القبـض علـى الشـيخ الشـهيد جميـل الرحمـن وإرسـاله إلى كـابل مكبـلا بـالأغلال، أو تصفيتـه جسـديا والقضاء عليه وعلى حياته ونشاطه الإصلاحى والثورى نهائيـا[1]. فأسـرع الشـيخ الشـهيد إلى مغـادرة الوطـن فكـان أول مـن قـدم إلى بشـاور مـن زعمـاء الجهـاد الأفغانى..

وفيما يلى ترجمة عبارة من خطاب الرئيس محمد داود خان الـذى ألقـاه فـى زيارته المفاجأة لأسعد آباد حاضرة الولاية: "... بلغنى أن الشيخ جميل الرحمـن قـد جاء "إلى الولايـة" وسـيأتى كذلـك، فعليكـم أن تقومـوا بإفهامـه أن يـترك أعمالـه الهدامة التى يقوم بها على الرغم من إرادة شعب كونر النبيل، وإن لم يرفع يده عن ذلك فسينال جزاء أعماله..."[2] بهذا الأسلوب الذى ينم عن اليأس هـدد الرئيـس الأفغانى محمد داود خان الشعب الأفغانى فى كونـر وعلـى رأسـه الشـيخ الشـهيد جميل الرحمن رحمه الله..

---

(١) الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ١٠، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، عام ؟

(٢) الشيخ جميل الرحمن حياته ودعوته ١٠، المكتب الأفغانى الإسلامى للأنباء، بشاور، عام ؟